المعجم الشعري في مختارات أبي البقاء الرندي (ت٦٨٤هـ) في كتابه (الوافي في نظم القوافي)

Poetic Lexion in the Selection of Abu-Baqa Al-Randi (Died. 684 A. H.) in his Book " Al-Wafi fi Nidham Al-Qawafi"

مروة علي أحمد أ. د. لؤي صيهود فوّاز التميميّ

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Email:
marwa23.ar.hum@uodiyala.edu.iq
luay.ar.hum@uodiyala.edu.iq

Published :5 -3-2024

Keywords: : Lexion, Al-Rundi, Al-Wafi

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

Abstract

The poetic lexion is a crucial source in poetic discourse, serving as a tool that unveils the poetic experience with percision. It is also the means by which aq poet's affiliation with their environment and relationship to it are defined. The poetic lexicon is exemplified in the selections of Abu-Albaqa' Al-Rundi in his book "Al-Wafi fi Nidham Al-Qawafi". These are the words that poets, throughout the ages, have carefully employed in their poems, becoming symbolic of stylistic achievements in poetic works across different ears.

This research focuses on studying the verbal structures that the poets of Al-Rundi's selections dedicatedly utilized in their poetic verses. It highlights word related to love and flirtation, words of praise, words of sadness and lamentation, and descriptive words. Poets employed these words in a manner that corresponds to the intended expression, portraying it with a style that imparts numerous connotations to the recipient's mind.

الملخص

المعجم الشعري مصدرٌ هامٌ في الخطابات الشعريّة، وهو يمثّل الأداة التي تكشف عن التجربة الشعرية بصورة دقيقة، والوسيلة التي تحدد انتماء الشاعر إلى بيئته وعلاقته بها، ويتمثّل المعجم الشعريّ في مختارات أبي البقاء الرنديّ في كتاب (الوافي في نظم القوافي)، بتلك الألفاظ التي اعتنى الشعراء ـ على مرّ العصور ـ بتوظيفها في قصائدهم، حتّى عُدّت دلالة أسلوبيّة تتّصف بها المنجزات الشعرية على اختلاف عصورها.

يهدف هذا البحث إلى دراسة تلك التراكيب اللفظيّة التي عكف شعراء مختارات الرندي إلى توظيفها في أبياتهم الشعريّة، وأبرزها ألفاظ الحب والغزل، وألفاظ المدح، وألفاظ الحزن والرثاء، وألفاظ الوصف، إذ وظّفها الشعراء بما يتناسب والموقف المراد التعبير عنه، وتصويره بأسلوب يلقي بالكثير من الدلالات في ذهن المتلقي

المقدمة

يعدّ المعجم الشعري أحد الآليات التي يقصدها الشعراء والأُدباء لرسم مقاصدهم ولنقل رؤاهم وتجاربهم الشعرية، إضافةً إلى ذلك فهو يمثل الوسيلة التي تحدد هوية الشاعر وتأثره بالعصر والبيئة التي ينتمي إليها، ومن خلال وقوفنا على مختارات أبي البقاء الرّندي نجد أن لكل شاعر ألفاظه التي يختارها من وحيّ مجتمعه، وإنَّ التطور والتجديد الذي يطرأ على مجتمع ما يؤثر على المعجم الشعر لهؤلاء الشعراء والمتمثل بالألفاظ والمعاني والتراكيب والدلالات الأُخرى، فمعجم الشاعر الجاهلي المتأثر بالبداوة والصحراء يختلف عن معجم الشاعر الإسلامي المتأثر بتعاليم الدّين وألفاظ القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد (ﷺ) وكذلك معجم الشاعر العباسي المتأثر بالتطور الحضاري واختلاط الحضارات، ودخول الألفاظ الجديدة يختلف عن معجم الشاعر الأندلسيّ المتأثّر بشكلٍ كبيرٍ في بيئته الأندلسيّة، إذ إنّ لكلّ شاعر أسلوبه الخاص الذي يميّزه عن غيره من الشعراء في استعمال معجمه الشعريّ، ويعنى هذا البحث الموسوم بـ (المعجم الشعري في مختارات أبي البقاء الرندي في كتابه الوافي في نظم القوافي)، بالوقوف على المقطعات الشعرية والأبيات التي انتقاها الرنديّ في كتابه على اختلاف عصور قائليها، من خلال دراسة الألفاظ والتراكيب التي عمد هؤلاء الشعراء إلى توظيفها، فجاءت تلك الألفاظ على محاور عدّة، تمثّل المحور الأول بـ (الفاظ الحب والغزل والنسيب)، والمحور الثاني بـ (ألفاظ المدح)، ثم المحور الثالث (ألفاظ الحزن والرثاء)، والمحور الرابع (ألفاظ الوصف)، ثم ينتهي البحث بخاتمة تضمّنت أبرز النتائج والملاحظات.

المحور الأول: ألفاظ الحب والغزل والنسيب:

يُمثّل الغزل جانبًا أساسياً من جوانب النص الابداعي، إذ إنّ الكثير من كتب الاختيار الشعري أفردت باباً مستقلا للغزل والنسيب، ولا يكاد يخلو شعر أي شاعر من هذا الغرض، مما يوحي بأهميته من بين الأغراض الأخرى، حتى أنّ العرب قديماً جعلوه مفتاحًا لقصائدهم، فهو من أشهر الموضوعات التي شكّلت مطالع القصائد العربية في العصر الجاهلي، وقد ورد كثيرًا استعمال لفظتي (الغزل والنسيب) للدلالة على معنى واحد؛ إذ شاع في الدراسات والمؤلفات استعمال هاتين اللفظتين للدلالة على موضوع الغزل، وكذلك لفظة (التشبيب) أيضًا، كما أشار الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إلى أنّ الغزل والتشبيب مترادفين، إذ قال: ((فأما الغناء المُطرب في الشعر الغزل فإنما ذلك من حقوق النساء، وإنما ينبغي أنْ تغنى بأشعار الغزل والتشبيب والعشق والصبابة بالنساء اللواتي فيهن نطقت الأشعار، وبهن شبب الرجال))[1].

ولا يختلف ابن رشيق عن رأي جاحظ، فقد أشار إلى أنّ المعنى واحد بين هذه الألفاظ بقوله: ((الغزل والنسيب والتشبيب كلُّها بمعنًى واحد، وإنّ الغزل ألف النساء والتخلق بما يوافقهن))[2].

وقد يعطي هذا التجانس والتداخل بين تلك المُسميات قدرًا واسعًا من الاتساع والشمول لفن الغزل[3]، وقد أشار الأدباء والنقاد إلى ضرورة اختيار ألفاظ المعاني السلسلة والرقيقة، كما أشار إلى ذلك ابن رشيق بقوله: ((ويُشترط في هذا الفعل أن يكون حُلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كذب ولا غامضٍ، وأنْ يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، ليّن الإيثار، رطب المكسر، شفاف الجوهر، يضطرب الحزين ويستخف الرصين))[4].

ومن خلال اِطّلاعنا على كتاب (الوافي في نظم القوافي) فقد أولى الرندي هذا الفن أهميه بالغة، فقد أفرد بابًا من كتابه في أغراض الشعر وآدابه، وجعل أوّل هذه الأغراض (النسيب والغزل)، كما إنّ الرندي أشار إلى شروط اختيار الألفاظ ضمن هذا الفن، إذ قال: ((ومن آداب هذا الباب أن يكون اللفظ رشيقًا، والمعنى رقيقًا، وإذا وصف المحبوب بالتيه والإعراض، ونحو ذلك من الأغراض فلا يُقابل بالجفاء، ولا يُعامل معاملة الأكّفاء، وإنّما حق المحب مع محبوبه أن يتذلل كما تدلل، ويحمل الذنب على نفسه ويتحمل))[5].

وسنوضّح هذه الأبيات والمقطعات الشعرية التي أوردها الرندي، وتضمنت الألفاظ الغزلية، وألفاظ الحب والعشق، فكان أبرز ذلك الاختيار من شعر (النابغة الذبياني) في قوله[6]:

زَعَمَ الهُمامُ وَلَم أَذُقهُ أَنَّهُ عَذبٌ إِذا ما ذُقتَهُ قُلتَ اِزدُدِ
في إِثرِ غانِيَةٍ رَمَتكَ بِسَهمِها فَأَصابَ قَلبَكَ غَيرَ أَن لَم تُقصِدِ
غَنِيَت بِذَلِكَ إِذ هُمُ لَكَ جيرَةٌ مِنها بِعَطفِ رِسالَةٍ وَتَوَدُّدِ

اختار الرندي هذه الأبيات من شعر (النابغة الذبياني)، وهذه القصيدة تضمّنت غزلاً بـ (المتجردة) زوجة النعمان بن المُنذر، فهو يتغزل بهذه المرأة غزلًا حسيّاً، تضمنت القصيدة الكثير من الألفاظ الحسيّة، ولكن الرندي اختار هذه الأبيات، إذ يقول الشاعر بأنّ الهُمام زوجها أخبره بأنّ أنفاسها تسقي العطش الشديد، ولكن الشاعر لن يستطيع مذاقه، ويذكر أنها من الفتيات الحسناوات التي ترمي بسهام عينيها، فرمته بتلك السّهام، ولكن قلبه الذي أُصيب، ووقع أسيرًا بحبها.

واختار الرندي من شعر العصر العباسي أبياتًا تعود إلى (أبي الطيب المتنبّي)، إذ يقول فيها[7]:

بَـدَتْ قَمَـراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عَنْبـرَاً ورَنَــت غَـزالا

وجارَتْ في الحُكومَةِ ثمّ أبْدَتْ لَنا من حُسنِ قامَتِها اعتِـدالا

هذه الأبيات التي يتغزل فيها الشاعر بمحبوبته، إذ يشبه وجهها بالقمر، فهي منيرة تشبه القمر، وقامتها أشبه بالغصن إذا مالت وإذا قامت، أما عطرها فيفوح برائحه زكية كالعنبر، ويذكر الشاعر من صفات حبيبته فيقول بأنّها جائرة في حُكمها، ولكن قوامها معتدل لا جور فيه، وهذا الغزل يعود غزلا حسيًّا، عمد الشاعر فيه إلى ذكر بعـض التفاصيل الجسدية كالوجه والقوام.

وأبرز ما اختار الرندي من الشعر الأندلسي أبياتاً من غزل (ابن خفاجة)[8]:

ومُهَفهَفٍ طاوي الحَشا خَنِثِ المَعاطِفِ وَالنَظَر

بَهَرَ العُيـونَ بِسُــورَةٍ تُلِيَت مَحاسِنُــها سُوَر

فَـإذا رشَــا وَإذا شَدَا وَإذا سَعَى وَإذا سَفــَر

فَضَــحَ الْمُدَامةَ وَالغَمـا مَــةَ وَالحَمامَـةَ وَالقَمَر

نجد ألفاظ الغزل واضحة في هذه الأبيات، وإنّ الناظر في غزل الشعراء الأندلسيين يجده لا يشبه الغزل لدى غيرهم من الشعراء في العصور الأُخرى، فالناظر في هذه الأبيات كانه يرى منظراً من المناظر الطبيعية، فكثيرًا ما يستخدم هؤلاء ألفاظاً مستوحاة من الطبيعة والبيئة الأندلسية، فطالما صوّر الشاعر حبيبته بأوصاف الطبيعة، فهذا يدل على تأثرهم بجمال بيئتهم، فألتقى في هذه الأبيات الغزلية جمال المحبوبة مع جمال الطبيعة، فخرج النص بهذه الصورة الرائعة، إذ إنّه يقف أمام حبيبته ويتغزل بها، فيذكر إنها رقيقة دقيقة الخصر، ويصف الشاعر حبيبته إذا تكّلمت أو مشت، فيقول إنّها تشبه الغزالة في رُنُّوها، وتشبه الحمامة في شدوِها، وكذلك وجهها السافر يشبه القمر المنير، فنجد أنّ الأوصاف كلها مستوحاة من قلب الطبيعة مثل (القمر، المُدامة، الغمامة، الحمامة).

المحور الثاني: ألفاظ المدح:

يُعد المدح من الفنون التي شاعت في الأدب العربي، حيث نَظَمَ معظم الشعراء قصائدهم الكثيرة التي تصف مآثر الأفراد والجماعات أو القبائل، وكانت الألفاظ والمعاني في العصور السابقة مُستمدة من

البيئة العربية، حيث تدور الألفاظ حول ذكر الجود والشجاعة والفروسية والإباء والكرم وإكرام الضيف وغيرها، أي أنّ ألفاظ المديح كانت تُعنى بالدرجة الأولى بمدح ما اتصف به العرب من القيم الأخلاقية والإنسانية، ومع تطوّر العصور الأدبية، فقد شهد هذا الفن تغيّرًا كبيرًا، إذ أصبح المدح تكسّبياً، وأصبح الشعراء يتفننون في استعاراتهم وتشبيهاتهم لدرجه المبالغة في وصف الممدوح، فأصبحت المديح أشبه بالصناعة التي يبيعها الشعراء على عتبات الملوك والامراء[9].

وقد أشار قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) إلى الصفات التي لا بُد من توفرها في من يستحق المدح بقوله: ((إنما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة، وكان لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مُصيباً، والمادح بغيرها مخطئاً))[10].

ومن خلال اطلاعنا على مختارات الرندي في (الوافي في نظم القوافي)، نجده يكشف عن أهميه هذا الفن، إذ جعله أحد أقسام الباب الرابع من كتابه، وعرفه بقوله: ((المدحُ محبوب بالطبع، شهيا للسمع، والنفوس في حبه متفقة، وفي دواعيه متفرقة، فالكريم يجود ويبذل فيه المجهود، واللئم يتعلل ويحب أن يُحمد بما لم يفعل))[11].

كما ذكر الرندي الألفاظ المختارة في هذا الفن، والتي تتعلق بالكرم وشرف النسب والنشأة في كنف الحكمة، والتمتع بأخلاق الخلافة والإمامة، وكذلك أنْ تكون الألفاظ ملائمة لوصف الممدوح، كما اشار إلى ذلك بقوله: ((حُللٌ قُدّتْ على قُدودِ الكرامِ، ولذلك لا تلائم اللئام، ومدح اللئيم هجوٌ له؛ لأنك تصفه بما لا يعرفه ومن المثل السائر من مدحته بما ليس فيه فقد بالغت في ذمه))[12].

وكما عهدناه من تنوع في اختيارات الرندي، فنجده يختار المدائح من قصائد الشعراء من مختلف عصور الأدب، فأختار من شعر (الخنساء) أبياتًا تمدح بها أخيـــــها صخراً، فتقول[13]:

وما بَلَغَ المُهْدُونَ للناس مِدْحَـةً ولَا صَدقُوا إلا الذي فيكَ أفضلُ

وما بَلَغَــت كفُّ امــرئٍ متناوِلا مِن المجدِ إلّا حيثُما نـلتَ أطوَلُ

الشاعرة في أبياتها هذه تمدح أخيها صخراً، فتذكر أنّه مهما مدح المادحين، ومهما أطالوا في مدح الناس، فإنّ أفضل المدح هو الذي قيلَ فيكَ وحدكَ، وكذلك فقد أرادت الشاعرة بيان منزلةَ أخيها صخرا، فوصفتها بأنّها منزله رفيعة وسامية، لا تستطيع أيادي الآخرين من وصول تلك المكانة مهما فعلوا .

وأيضاً اختار الرندي من شعر (زهير بن ابي سلمى)، إذ يقول[14]:

وَأَبيَــضَ فَيــّاضٍ يَــداهُ غَمامَةٌ عَلـــى مُعتَفيهِ مــا تُغِبُّ فَواضِلُه

تـَراهُ إِذا مـــا جِئتَـــهُ مُتَهَلِّــلاً كَأَنَّكَ تُعطيــهِ الَّذي أَنــتَ سائِلُه

يَسِرُّ بِمـَا يُعطِيـكَ قَبـْلَ سُؤالِـهِ سُرُورُكَ بِالنَّيْلِ الذي أَنْتَ سَائِلُهْ

إذا أمعنا النظر في هذه الأبيات، نجد أنّ الشاعر مدح سيّده، ووظف هذا المدح بألفاظ تدل على الكرم والسخاء والجود، إذ يقول الشاعر ورب سيد أبيض الوجه، يفيض بالعطاء والسخاء، فيداه تُمطران الخير والعطاء، كالسحابة إذا أمطرت، لكل من سأله، وهذا العطاء مستمر وغير منقطع، ويبيّن الشاعر تواضع الممدوح، أنّه يرحب بالجميع وكأنّهم أفضل ضيوفه وليس سائليه، ويذكر الشاعر بأنّ هذا السيد الكريم النبيل يسر بعطاءه للناس قبل سرورهم بما نالوه منه، وهذه الصفات التي مدحها الشاعر بها إنّما تدل على مقدار هذا الكرم لديه، فوظّف مدحه بأسلوب سلس، ومعانٍ صادقة، تؤثر في المتلقي وتشعره بتلك الصفات، حتى يبدو على السامع الإعجاب الشديد في هذا الممدوح.

وأيضاً اختار الرندي من شعر (مروان بن أبي حفصة) في مدح بني مطر[15]:

بَنـو مَطـَرٍ يَومَ اللِقـاءِ كَأَنَّهـُم أُسـودُ لَهـا فـي غيلِ خَفّانَ أَشبُلُ

هُـمُ يَمنَعـونَ الجـارَ حَتّى كَأَنَّما لِجـارِهِمُ بَينَ السِماكَيـنِ مَنـزِلُ

هُمُ القَومُ إِن قالوا أَصابوا وإِن دُعوا أَجـابوا وَإِن أَعطـوا أَطابـوا وَأَجزَلوا

وَمـا يَستَطيـعُ الفاعِلونَ فِعالَهُـم وَإِن أَحسَنـوا في النائِباتِ وَأَجمَلوا

يمدح (مروان بن أبي حفصة) في هذه الأبيات معن بن زائدة، وتعد أفضل المدائح في الشعر الأندلسي، كما وصفها (ابن المعتز)، حين قال فيها: ((وهذه القصيدة تسمى الغرّاء، أخذ عليها من ابن معن مالًا كثيرًا، ويقال ما أخذ أحدٌ من الشعراء المتقدمين ولا المحدثين ما أخذ مروان بالشعر))[16].

فالشاعر يمدح هؤلاء القوم ويصفهم بالصفات الفضيلة، إذ يُشيد بشجاعتهم وسيادتهم وصواب الرأي، إذ إنهم يجيبون من يدعوهم، ويحمون جارهم، وإن سُألوا أعطوا العطاء الأفضل، إذ لا يستطيع غيرهم من الأقوام أنْ يفعلوا مثلما فعلوا من الأفعال النبيلة، ويمكن القول إنّ هذا النوع على الأغلب جاء تكسبياً، كما أشار إلى ذلك (ابن المعتز)، بأن الشاعر حصل على الأموال من ابن الممدوح، إذ وظّف الشاعر ألفاظ الرّثاء (أصابوا، أعطوا، أجزلوا، أطابوا)، بأسلوب رقيقٍ، معبرًا عن كرم الممدوحِ وقوّته.

المحور الثالث: ألفاظ الرثاء:

يحتلّ الرثاء مكانة كبيرةً في الشعر العربي، فهو لا يقل أهمية عن الأغراض الأخرى، وهو يقترب كثيراً من الفخر والحماسة والمدح؛ لأنه كثيراً ما يتصل بذكر صفات المرثي من الشجاعة والكرم والجود والقوة والحكمة وغيرها، ويُعد الرثاء من أكثر موضوعات الشعر ارتباطاً بالذات الإنسانية، إذ يتصل مباشرة بالعواطف والأحاسيس والتأملات الوجدانية[17].

كان الرجال والنساء في العصر الجاهلي يرْثُون موتاهم ويندبونهم، ولكن للنساء الحظ الأوفر في هذا الفن فينذُبن أمواتهن ويحلقن شعورهن ويضربن الخدود وغيرها من الأعمال التي تعبر عن الحزن

والألم والفقد، ويرجع الباحثون لتفوق النساء في هذا الفن إلى أنْ المرأة في تكوينها النفسي والعاطفي أكثر قوه وتناسباً، وإنّ المرأة أرق من الرجل كما أشار إلى ذلك (مصطفى صادق الرافعي)، بقوله: ((وقد مر في الكلام عن شواعر العرب شيئاً عن موضعهن من الرثاء؛ لأنهن أشجع الناس قلوبًا عند المصيبة وأشدهم جزعا على الهالك))[18]، فصورة الرثاء والحزن على الموتى تشتق من العصر الجاهلي؛ لأنه يمثّل النواة الأولى لهذا الفن[19].

ولا يخلو هذا الفن من التغيرات التي طرأت على الاغراض الشعرية مع تطور العصر والمجتمع، فنجد تأثير دخول الاسلام كبيراً في نفوس الشعراء إذ تأثروا بالألفاظ والمعاني الجديدة التي كانت مستوحاة من الدين الإسلامي والقرآن الكريم مثل (الجنة والنار والجهاد والشهادة) وغيرها.

وعليه يمكن القول إنّ شعراء هذا الفن عنوا باختيار الألفاظ والمعاني، واِعتنوا بتشكيل صورهم وتشبيهاتهم واستعاراتهم، واختيار الأوزان والقوافي الملائمة لهذا النوع من الشعر وذلك باستخدامهم الأسلوب الذي يتناسب مع شعور الحزن والفقد، الذي يكمن في قلوبهم وأهمية تأثير ذلك الأسلوب في ذات المتلقي.

ومِمّا لا شك فيه أنّ كتب الاختيارات الشعرية أولت أهمية بالغة لهذا الفن، إذ إنها خلدت الكثير من المرثيات العربية، فأفردت هذه الاختيارات باباً مستقلاً تحت مسمى (المرثيات)، كما في الحماستين الكبرى والصغرى لأبي تمام، والحماسة الشجرية، والحماسة المغربية، وفي إطار حديثنا عن مختارات (الوافي في نظم القوافي)، فقد جعل الرندي الرثاء أحدَ الموضوعات التي تضمنها الباب الرابع من كتابه، إذ أشار إلى أثر هذا الغرض الشعري فجعله ثلاثة أصناف: (التوجع، والتأبين، والتعزية)، وجعل لكل صنف منها معناه، فأشار إلى ذلك بقوله: ((فأما التوجّع فيكون بتعظيم الرزء، وإجلال الخطب، وإعمال التأسف، وأما التأبين فيذكر مآثر المرثي ومكارمه ووصفه بما يحب له، وأما التعزية فبالحض على الصبر والترغيب في الأجر والتأسي والسلف فيما عرا من فجائع الدنيا وقوارع البلوى ليتأسى بذلك ولي الهالك))[20]، ومن خلال رؤيتنا لهذه الاختيارات نجد الرندي يختار أبياتاً من قصائد الرثاء وهذا الاختيار يصنف إلى ثلاث أنواع:

1. **الاختيار من شعر رثاء الرجال.**
2. **الاختيار من شعر رثاء النساء.**
3. **الاختيار من شعر رثاء الأطفال.**

فيشير الرندي في حديثه عن رثاء الرجال بقوله: ((فأما الرجال فيشيع ذكرهم، ويمكن فيهم المقال))[21]، فبدأ اختياره من شعر (الخنساء) في رثاء أخيها صخراً، إذ تقول[22]:

يُذَكِّرُني طُلوعُ الشَمسِ صَخراً وَأَذكُرُهُ لِكــلِّ غُروبِ شَمــسِ

وَلَولا كـثْرَةُ البــاكينَ حَــولي عَلى إِخوانِهِم لَقَتَلــتُ نَفسي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِــي وَلَكِنْ أُعزِّي النّفْسَ عَنْهُ بالتّــأَسِّي

فالخنساء ترثي أخاها صخرًا الذي قتل في معركة القادسية، وتجزع عليه جزعاً شديدًا، وتشيد بأخلاقه وفضائله في قصيدتها هذه، فهي تذكره في كلِّ طلوع شمس، وتبكيه وتحزن على فقده، ويظل الحزن والدموع مستمران إلى غروب الشمس، ولكن كثرة الباكيات حولها على القتلى يخفف قليلًا من حزنها، وتذكر أنّ لا حزنًا يشبه حزنها على صخرٍ، لكنها تجعل من بكاء من حولها مواساةً لها، فنجد هذا الحزن والألم الذي تكابده الشاعرة من خلال اختيارها للألفاظ (يؤرق، ويذكر، والبكاء، والتأسّي)، هذه الألفاظ توحي بمقدار الألم والفجيع التي عاشتها الشاعر جرّاء فقدها أخيها، فوظفتها الشاعرة بأسلوب مؤثر يمكن للمتلقي إدراكه والشعور به.

اِلتفت أبو البقاء إلى رثاء النساء بقوله: ((وأما النساء فتضيق فيهن مسالك الكلام، وتقصر عنهن مدارك النظام، والوجه يكنى عنهن، والوجه إن يكن عنهن جريا على عاده الصوم لهن، فيقال في المرأة انها كانت شمسا فأفلت وزهرة فذبلت))[23].

فمن اختياره من الشعر الأندلسي للشاعر (أبي بكر الداني (ت ٥٠٧هـ))، إذ يقول[24]:

أَبِنْتَ الهُدَى جَدّدْتِ صَنعَا على صنعَا مَضَـى المُـرتضى فأتبعتــــهُ فــــرعا
جَرى المَوتُ جَريَ الرّيحِ في مَنبّتِيُكمَا فـــــأذواك ريــحَاناً وكَســـرَه نَبـــــعا

في هذه الأبيات يرثي الشاعر أختَ المرتضى حين وافتها المنية، فهرع الشعراء لرثائها، وكان أبو بكرٍ أحد أولئك الشعراء، فهو يرى موتها هذا تجديدًا للحزن والألم، وهي حادثةٌ تذكر الأندلسيين بوفاة المرتضى، فيرثيها ويبكي رحيلها، فيقول بأنّ الأصل ـ ويقصد المرتضى ـ قد رحل ثم تبعته أُخته في الرحيل، ووصفها بالفرع؛ كونها أخت أحد الملوك العظماء في الأندلس، ويصف سرعة هذا الرحيل بسرعه الريح التي تذبل النبات وتكسّر نبعه، فوظّف الشاعر هذه المعاني بتوظيف الألفاظ (المنيّة ـ موتها ـ الرحيل ـ تدلّ)، التي تدل على تصوير هذه العجلة في الرحيل.

أما من شعر العصر العباسي فقد اختار الرندي أبياتاً من شعر (أبي الطيب المتنبي) في رثاء أُخت سيف الدولة فيقول الشاعر[25]:

يا أُختَ خَيرِ أَخٍ يا بِنتَ خَيرِ أَبٍ كِنايَةً بِهِما عَـن أَشـرَفِ النَسَبِ
أُجِلُّ قَـدرَكِ أَن تُسْمَــيْ مُؤَبَّنَــةً وَمَن يَصِفكِ فَقَـدَ سَمّاكِ لِلعَـرَبِ

فالشاعر في هذه الأبيات يرثي أُخت سيف الدولة إذ وصفها بأنّها أخت أفضل الرجال وهو سيف الدولة، وكذلك يمدح الشاعر نسبها فيقول إنّها بنت أفضل الملوك، كناية عن نسبها الكريم، والقصيدة تكشف عن مدى حزن الشاعر وألمه، فيصور حزنه وفزعه وصدمته بتلقيه خبر موتها فيقول[26]:

طَوى الجَزيــرَةَ حَتّــى جاءَني خَبَرٌ فَزِعتُ فيــهِ بِآمالــي إِلــى الكَذِبِ
حَتّــى إِذا لَم يَدَع لــي صِدقُهُ أَمَلاً شَرِقتُ بِالدَمعِ حَتّى كادَ يَشرَقُ بــي

إنه يصور حالته بتلقي خبر موتها فيفزع قلبه ويضطرب حاله، حتى تمنّى أنْ يكون هذا الخبر غير صادقٍ، وكاذبٌ حتى يئس، وصدق ما حدث، فتنهمر دموعه حزنًا عليها حتى كاد دمعه يشرق به، فنجده يوظّف الألفاظ (مؤبنة، فزعت، الدمع)، فهذه الألفاظ وظفها الشاعر لتكشف عن مدى تلك الفجيعة والحزن والألم الذي يكابده الشاعر.

وتنبه الرندي الى رثاء الأطفال بقوله: ((وأمّا الأطفال فيوصفون بما كانت تعطيه فيهم الفراسة، وتفتضيه في مخايلهم النجابة، ويقال إنهم صرعوا الأكباد، وفتتوا الأعضـــاء إنهم كانوا كالأقمار، خطفت قبل تمامها، والأزهار قطفت في أكمامها))[27].

اِختار الرندي من شعر (أبي تمّام) في رثاء اِبنين صغيرين فيقول فيهم[28]:

نَجمــانِ شاءَ اللهُ أَلّا يَطلُعــا إِلّا اِرتِدادَ الطَــرفِ حَتّى يَأفِلا
لِلَّهِ أَيَّــةُ لَوعَــةٍ ظِلــنا بِهــا تَرَكَت بَكِيّاتِ العُيــونِ هَوامِــلا
إِنَّ الهِــلالَ إِذا رَأَيــتَ نُمــوَّهُ أَيقَنتَ أَن سَيَكونُ بَدراً كامِــلا

يرثي الشاعر في قصيدته ولدين صغيرين، إذ نجده يُشبِهَهُم بالنجوم الصغيرة التي لم تظهر في السماء، إذ إنّ إرادة الله منعت ذلك، ويريد أنّ الله لم يُطل في أعمارهم، وذلك بمشيئته وليس لأحد القدرة على الوقوف أمام مشيئة الله، فيصف اللوعة والألم من فراقهم باستخدامه الألفاظ (لوعة، بكيات، الدموع)، فهذه اللوعة والحزن وصفها بأنّها تركت الدموع تنهمر كالماء الذي ليس هناك ما يمنع جريانه، وهو بهذا يرسم صورة الألم والحزن التي عبّرت عن الفقد والفجيعة بموتهم.

المحور الرابع: ألفاظ الوصف:

لا شكّ في أنّ للوصف دوراً بالغ الأهمية؛ وذلك لأنّه يشكّل الدعامة الأساسية التي ترتكز عليها أغراض الشعر الأخرى، فالشاعر حين يتغزل، يصف محبوبته بالصفات الحسيّة والعفيفة، وحين يمدح يصف ممدوحه بالفضائل والصفات الحسنة، وحين يهجوا يذكر الصفات التي تعبّر عن الذم وإبراز العيوب، وحين يرثي يذكر صفات الموتى ومحاسنهم، وهكذا، كما أشار ابن رشيق إلى ذلك بقوله: ((الشعر إلّا أقلّه راجعٌ إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه))[29].

فإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي، نجد أنّ الشاعر ينقل صورة الحياه الجاهلية كما هي، إذ يمكن القول إنّ شعره تسوده النزعة التقليدية في وصف هيئته، وكأنها تصف حقيقه الواقع وليس وصفاً بالكلمات أو الحروف فقط[30].

ومن أبرز الظواهر التي وصفها الشعراء الجاهليون هي تلك المستمدة من البيئة البدوية، فوصفوا الأطلال والآثار والدِمَن، كما وصف ذلك (امرؤ القيس)، بقوله[31]:

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنِ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

كما وصفوا الحيوانات كالخيل والناقة وحيوانات الصحراء المختلفة، وكذلك وصفوا السلاح كالسيف والرمح والسهام وغيرها من آلات الحرب، وكذلك وصف الخمر ومجالسها، وكل المظاهر التي اشتملت عليها الظواهر الطبيعية كالمطر والنجم والكواكب والبرق والسحاب وغيرها[32].

نفهم من ذلك ان الوصف ينبني على صنفين: الاول: وصف موضوعي يتعلق بوصف الظواهر والاشياء المستمدة من الواقع، والثاني: وصف ذاتي يتعلق بوصف الشاعر لعواطفه وأفكاره وأحاسيسه أو خواطره، وغيرها من الصفات المتعلقة بالشاعر نفسه[33].

وكما عرفناه عن كتب الاختيارات الشعرية، نجد أنّ المؤلفين قد أولوا هذا الغرض أهمّية كبيرة، حيث أفردوا له بابًا في تآليفهم أسموه (باب الصفات)، وأبرز تلك الاختيارات (الحماسة الكبرى)، لأبي تمام، و(الحماسة الصغرى)، أو (الوحشيات)، و(الحماسة الشجرية)، وغيرها، أمّا (أبو البقاء الرندي)، فقد ذكر الوصف على أنّه غرضٌ مستقل في كتابه وذكره بقوله: ((الوصف ذكر الشيء بما يصوره في النفس، كصورته في الحسّ، ويمثله للخيال بما له من الهيئات والاشكال، وهو باب جليل، وعليه مدار الشعر الّا القليل))[34].

وأبرز هذه الاختيارات كانت من شعر (ابن خفاجة) في وصف الليل وابتدائه وانتهائه، فيقول الشاعر[35]:

وَلَيـــلٍ كَمـــا مَدَّ الغُـــرابُ جَناحَهُ وَســالَ عَلـــى وَجـهِ السِجِلّ مِـدادُ
بِهِ مِن وَميضِ البَرقِ وَاللَيلُ فَحمَةٌ شَـــرارٌ تَـرامـــى وَالغَمـــامُ زِنـــادُ
وَفي مُصطَلـى الآفاقِ جَمرُ كَواكِبٍ عَـــلاها مِـــنَ الفَجرِ المُطِلّ رَمادُ

فالشاعر يصف الليل في قصيدته، وهو أحد مظاهر الطبيعة، نجده يصف شدّة الظلام، فيذكر ظلام الليل، مستخدمًا الألفاظ (الغراب، والغمام، والوميض، والبرق)، فهذه الألفاظ كلها مستوحاةٌ من الطبيعة، وكان الشاعر يريد التعبير عن ألم أو حُزن، لهذا اختار هذه الألفاظ المعبّرة عن السواد وظلمة الليل، ويصوّر الشاعر هذا الليل بصورة مؤثّرة، مرّة أخرى فيرى جمر الكواكب تصطلي في الأفق ليعلوها الرماد المطلة من الفجر، ونجد أن هذه الألفاظ التي عبّر بها الشاعر، ووظف فيها الليل توحي بالمعاناة النفسية الحزينة التي يمر بها الشاعر.

ومن الاختيار أيضاً وصف (البحتري) بركة ماءٍ في قصر بناه المتوكل، وتسمى بـ (البركة الجعفرية)، فيقول فيها[36]:

فَرونَقُ الشَّمسِ أحْيـانًا يُضَاحِكَهَا وَرَّيـقُ الغَيـْثِ أحْيـانـًا يُباكِيْهـَا
إذَا النُّجُـومُ تَـرَاءتْ فِـي جَوانِبِهَا لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَـــاءَ رُكِّبَتْ فِيهَا

خصّ الشاعر هذه البركة بأوصاف تكشف عن مدى عظمتها وجمالها، فهي تبهر كلّ من رآها، فيكشف في أبياته مدى تفاعل هذه البركة مع الطبيعة، فأحيانا تغازلها الشمس وتضحكها، وأحيانا أخرى يباكيها الغيث والمطر، وفي هذا البيت تشخيص، إذ نجد الشاعر يُكسب صفةَ البكاء والضحك إلى البركة، ويقول إنّ لعظمة هذه البركة وسعتها، فإنّ صورة النجوم عند ظهورها في السماء تنعكس على هذه البركة، فيعتقد كل من يراها أنّ النجوم السماء قد ركبت على سطح هذه البركة، والشاعر رسم لنا صورة دقيقة، يوضّح فيها جمال هذه البركة، من خلال استخدامه للألفاظ المستوحاة من الطبيعة (الشمس، والمطر، والسماء)؛ ليرسم صورة هذه البركة، وإبراز مدى ما تحقّقه من جمال وجاذبية.

ومن وصف الشعر اختار الرندي من شعر (أبي الطّيب المتنبي)، إذ وصف شعر فتاة فقال[37]:

كَشَفَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَعرِهـا في لَيلَـــةٍ فَـــأَرَت لَيالِـــيَ أَربَعا
وَاِستَقبَلَت قَمَرَ السَماءِ بِوَجهِـهـا فَأَرَتنِيَ القَمَـــرَينِ في وَقتٍ مَعا

فالشاعر يصف شعرها بقوله كشفت ثلاثة ذوائب، في إحدى الليالي، فصارت الليالي أربعًا، إذ يُشبّه كلَّ ذؤابة من شعرها بليلة لِشِدّةِ سوادها، فلم يقل قطعةً من الليل، وإنّما جاء التشبيه باللّيل الكامل، دلالة على وفرةِ السواد في شعرها، أمّا وجهه هذا فقد استقبلت القمر فيه، فيشبهه بالقمر أيضًا، فأصبح هنالك قمران، أحدهما قمر السماء، والثاني وجهها، فالشاعر وظّف هذه الألفاظ الدالة على وصف الشعر واللون (الذوائب، الليل، أسدلت)، ووظّفها بصورة رائعة وأسلوب رقيق، يكشف لنا عن فخامة التعبير وصدق التجربة.

الخاتمة والنتائج

خلاصه القول إنّ الرندي في مختاراته هذه كشف عن أسلوب الشعراء في توظيفهم للألفاظ على اختلافها غزلاً كانت، أم مدحاً، أم رثاءً، أم وصفاً، فضلًا عن اختلاف عصورهم، وما طرأ عليها من تطوراتٍ، فكُلُّ شاعر من هؤلاء الشعراء وظَّف مفرداته وتراكيبه بأسلوبه الخاص، وعلى وفق ظروف عصره، لذلك فإنّ هذه المختارات تتميّز بتنوع المعاجم الشعرية، ويمكننا القول إنّ هذه المختارات جاءت حافلةً بتراث متنوّع من الشعر العربي، كاشفة عن أساليب شعريه أضافت للنص الأدبي رونقًا وجمالًا ورصانةً لغويّة، وتراكيب مميّزةً، رسمت الصورة الشعرية التي عبّرت عن ما تكنّه نفوس الشعراء، وانتهى البحث إلى جملة نتائج هي:

1) تنوّع المعاجم الشعريّة المتمثّل بتنوّع الألفاظ التي عمد الشعراء إلى توظيفها متأثّرين بأسلوب العصر.

2) يشكّل المعجم الشعري مصدرًا مهمًا للشعراء، فهو يساعد الشعراء في اختيار الألفاظ المناسبة، وذلك لإيصال الصورة الشعرية إلى ذهن المتلقّي.
3) أجادة أبو البقاء الرندي في اختيار المقطّعات الشعريّة التي أباحت عن تلك العواطف والخلجات النفسيّة الكامنة في نفوس الشعراء، وذلك من خلال اختيارهم الألفاظ المعبّرة عن تلك العواطف والأحاسيس.
4) تأثّر الشعراء الأندلسيين واضحًا ببيئتهم من خلال انعكاس صورة الطبيعة الأندلسية التي لمحناها في غزلهم ومدحهم ورثائهم ووصفهم، مما يضفي تميزًا على معاجمهم الشعريّة.
5) إسهام المعاجم الشعرية بإثراء النصّ الشعريّ، من خلال رسم الصورة الشعرية المؤثرة بوساطة توظيف الألفاظ والمعاني والتراكيب المتنوّعة.

المراجع

(1) الرسائل: الجاحظ، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت): 3/١٤٥.
(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، (د. ت): 117/2.
(3) ينظر: هيمنة غرض الغزل في العصر الوسيط : د. زينب فاضل النعيمي، (بحث)، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥م.
(4) العمدة في محاسن الشعر: ابن رشيق القيرواني: 116.
(5) الوافي في نظم القوافي: أبو البقاء الرندي: 139.
(6) ديوان النابغة الذبياني: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 2009م: 95.
(7) ديوان المُتنبّي بشرح الواحدي: تحقيق: ياسين الأيوبي، وقصي الحسني، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1999م: 65.
(8) ديوان ابن خفاجة: تحقيق: السيد مصطفى غازي، دار المعارف، الإسكندرية، (د. ط)، 1960م: 359.
(9) ينظر: المديح في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، لبنان، (د. ط)، (د. ت): 8.
(10) نقد الشعر: قدامة بن جعفر: 96.
(11) الوافي في نظم القوافي: ابو البقاء الرندي: 169
(12) المصدر نفسه: ١٧٠.
(13) ديوان الخنساء: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م: 91.
(14) ديوان زُهير بن أبي سُلمى: تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، 1988م: 91.
(15) ديوان مروان بن أبي حفصة: تحقيق: أشرف أحمد عذرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1993م: 110.
(16) طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، دار المعارف، مصر، ط3، (د. ت): 5.
(17) ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: حسين جمعة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الآداب، 1982م: 2.
(18) تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي: 72/3.
(19) ينظر: الرثاء في الأدب العربي: بشرى مهدي المأمون، (بحث)، المجلة العلمية لجامعة الأمام المهدي، 2016م: 6.
(20) الوافي في نظم القوافي: أبو البقاء الرندي:٢٢١.
(21) المصدر نفسه: 222.

(22) ديوان الخنساء: 72.

(23) الوافي في نظم القوافي: ابو البقاء الرندي: ٢٣٧.

(24) ديوان ابن اللبانة الداني: تحقيق د. محمد مجيد سعيد، دار الراية للنشر، عمان، ط2، ٢٠٠٨م: 83.

(25) ديوان المتنبي: 1641.

(26) المصدر نفسه: 1644.

(27) الوافي في نظم القوافي: أبو البقاء الرندي: ٢٤٣.

(28) ديوان أبي تمّام: 113.

(29) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني: ٢٩٤.

(30) ينظر: فن الوصف: إيليا حاوي، دار الشرق الجديد، بيروت، ط١، 1959م: 1/ ٢٢.

(31) ديوان أمرئ القيس (بشرح أبي سعيد السكري): تحقيق: أنور عليان أبو سويلم، ومحمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط1، 2000م: 164.

(32) ينظر: الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية دراسة في الشكل والمضمون: د. منذر ذيب كفافي، عالم الكتب الحديثة، جامعة الاسراء، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م: ١٧٣.

(33) ينظر: الوصف في الشعر العربي: عبد العظيم قناوي: 1/٥٤.

(34) الوافي في نظم القوافي، ابو البقاء الرندي: ٢١٣.

(35) ديوان ابن خفاجة: 132.

(36) ديوان البحتري: تحقيق: حسن الصريفي، دار المعارف، مصر، ط3، (د. ت): 2418.

(37) ديوان المتنبي: 1780.

المراجع:

1) تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، (د. ط)، 2013م.
2) الحيوان: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، ١٩٦٥م.
3) ديوان ابن اللبانة الداني: تحقيق د. محمد مجيد سعيد، دار الراية للنشر، عمان، ط2، ٢٠٠٨م.
4) ديوان ابن خفاجة: تحقيق: السيد مصطفى غازي، دار المعارف، الإسكندرية، (د. ط)، 1960م.
5) ديوان أبي تمام (بشرح التبريزي): تحقيق: محمد عزّام، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د. ت).
6) ديوان البحتري: تحقيق: حسن الصريفي، دار المعارف، مصر، ط3، (د. ت).
7) ديوان الخنساء: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م.
8) ديوان المُتنبّي بشرح الواحدي: تحقيق: ياسين الأيوبي، وقصي الحسني، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1999م.
9) ديوان النابغة الذبياني: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 2009م.
10) ديوان أمرئ القيس (بشرح أبي سعيد السكري): تحقيق: أنور عليان أبو سويلم، ومحمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط1، 2000م.
11) ديوان زُهير بن أبي سُلمى: تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، 1988م.
12) ديوان مروان بن أبي حفصة: تحقيق: أشرف أحمد عذرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1993م:
13) الرثاء في الأدب العربي: بشرى مهدي المأمون، (بحث)، المجلة العلمية لجامعة الأمام المهدي، 2016م.
14) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: حسين جمعة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الآداب، 1982م.
15) الرسائل: الجاحظ، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

16) الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية دراسة في الشكل والمضمون: د. منذر ذيب كفافي، عالم الكتب الحديثة، جامعة الاسراء، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
17) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه: إليزابيث درو، ترجمة: د. محمد إبراهيم الشوش، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، (د. ط)، ١٩٦١م.
18) طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، دار المعارف، مصر، ط3، (د. ت).
19) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، (د. ت).
20) فن الوصف: إيليا حاوي، دار الشرق الجديد، بيروت، ط١، 1959م.
21) في النص الأدبي دراسة أسلوبية احصائية: د. سعد مصلوح، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٣م.
22) المديح في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
23) نقد الشعر: أبي الفرج قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسطنطينيّة، ط1، 1302هـ.
24) هيمنة غرض الغزل في العصر الوسيط : د. زينب فاضل النعيمي، (بحث)، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥م.
25) الوافي في نظم القوافي: ابو البقاء الرندي، تحقيق: هدى شوكت بهنام، د. زينة عبد الجبار، دار غيداء للنشر، عمان، الأردن، (د. ط)، 2018م.
26) الوصف في الشعر العربي: عبد العظيم قناوي، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1949م.